وضع الظاهر موضع المضمر ، انماطه في التعبير القرآني

ا.م.د قاسم محمد كامل م. نسوم عوفي حسون
جامعة ذي قار .كلية الآداب

Placing the apparent in the position of hidden
Type of Aura. An Expression

The apparent placing in place of hidden as phenomenon of Arabic language phenomenon has been mentioned by syntactic and interpreters and has put basis and they showed guidance in Arabic speech and in the context of QURA,AN text but the goal of the research so it is hidden in showing the styles of this apparent name which has been placed in the location of hidden in the context of QURA,AN expression because after reading the phenomenon in the context of the text of Qura,an it is clear that this apparent has not come on one style but its styles where multi among names as the names of God (His glory) and names of prophets and between the prename and the relative .

توطئة :

حرص النحاة منذ القدم على وضع الأسس والقواعد التي تحكم اللغة وبوساطتها يستطاع إنتاج الصيغ والتراكيب الصحيحة(1) ومن تلك التراكيب وضع الظاهر موضع المضمر وهذا الإظهار له مغزى بلاغي ، ومقابل جمالي يخفيه إظهار الاسم الظاهر في موضع إضماره(2) ، ومنها مواضع التفخيم والتعظيم ومن ذلك قوله تعالى : { الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ }(3) ، إذ أقيم الظاهر مقام المضمر ، فلم يقل عز وجل : القارعة ما هي ، لتحقيق تلك الفائدة(4).

وتعد ظاهرة وضع الظاهر موضع المضمر من الظواهر اللغوية التي التفت إليها كل من النحاة والبلاغيين والمفسرين ؛ لأن الظاهرة لها علاقة متينة بنظم الجملة العربية وبلاغتها ، ومدى قوة أثرها ووقعها في النفس(5).

وإذا تتبعنا الظاهرة عند النحاة نجد أن سيبويه من أوائل من بحث هذه الظاهرة، وتتبع أبعادها ، وأشار إلى أنّ جودة الإظهار تكمن في إعادة الاسم الظاهر في سياق جملتين كقولك : ما زيدٌ ذاهباً ولا محسنٌ زيدٌ ، برفع (محسن) ؛ لأنه في حالة الرفع يكون الكلام مستأنفاً وهذا ما وافق كلام العرب(6).

ومن ثم أكد السيرافي في شرحه أن تكرار الاسم في موضع الثانية في الجملة الواحدة جائز وإن لم يكن وجه الكلام ؛ ذلك لبيان دلالات عدّة في سياق الجملة أراد العرب إيضاحها كقولك : زيد ضربت زيد ، بدلاً من قولك : زيد ضربته(7).

وتبع النحاة سيبويه في تتبع الظاهرة وبيان أسسها ، وأصولها عند العرب ، ودلالاتها في كلامهم مستشهدين ببعض النصوص القرآنية ، والأبيات الشعرية.

ولابد من الذكر أنّ الظاهرة تعد إحدى وسائل الربط بين أجزاء الجملة ذات المعنى الدلالي الواحد ، ومن أجل تحقيق الائتلاف بين المعاني الجزئية داخل الجملة وبوساطة العلاقات النحوية السياقية ، فلابد من ارتباط فيما بين أجزائها لتشكل بعضها مع بعض بناءً متماسكاً(8).

ويعد الضمير الوساطة اللفظية التي تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض ، وله الأصالة في

ذلك(9) ، إلا أنّه أحياناً يستغنى عن الضمير بوصفه وسيلة ربط ويقوم مقامه الاسم الظاهر(10) لغايات يهدف إلى إيضاحها العرب – كما أشير آنفاً – ، وقد جسد د. تمام حسان ذلك ضمن نظرية القرائن ، إذ عدّ إعادة اللفظ في موضع إضماره نوعاً من أنواع القرائن المقالية اللفظية في سياق الجملة ، وهو نوع من أنواع الربط بالإحالة(11).

ولم يقل جهد البلاغيين عن النحويين في النظر إلى بلاغة هذا التركيب في سياق الكلام ، لاسيما بلاغته في سياق النص القرآني ، وتعدد دلالاته بين التفخيم ، والتعظيم ، والتهويل ، والتنبيه وغيرها ، وما لهذا التصريح بإعادة اللفظ من حسن وبهجة وفخامة ونبل في التراكيب ما لا نجده في الكناية بالإضمار(12).

كذا لم تقل جهود المفسرين إذ كانت نظرتهم جامعة لكل ما جاء به فكر النحاة والبلاغيين ، بل إن المفسرين تتبعوا مواطن وجود الظاهرة في سياق النص القرآني ؛ لبيان غاية التعبير القرآني من هذا الإظهار وإيضاح دلالاته التي تعددت عما أشار إليه النحاة والبلاغيون ، بما يشير إلى حكمة إلهية بالغة استدعت الخروج عن مقتضى الظاهر وإظهار الاسم في موضع إضماره.

أنماط الظاهر في التعبير القرآني :

وهذا هو هدف البحث وهو أنّه بعد استقراء الاسم الظاهر القائم مقام الضمير في سياق التعبير القرآني لوحظ تعدد أنماط هذا الاسم ، إذ لم يأت على نمط واحد بل تعددت أنماطه مثلما تعددت دلالاته في سياق النص القرآني.

1. الأسـماء :

من أبرز الأنماط التي استعملها التعبير القرآني في موضع الإضمار هي الأسماء.

الاسم كلمة تدل على معنًى في نفسها من غير اقترانها بزمن(13) ، وقد كثرت الحدود الموضوعة فيه ، وتعددت الأنواع التي دخلت تحت الاسم ، وقد نقل ابن الأنباري قول بعض النحاة في الاسم بأنَّه : ((لا حدّ له ، ولهذا لم يحدّه سيبويه وإنما اكتفى فيه بالتمثيل*))(14) ، ويعد المصطلح من المصطلحات القديمة ، وخير دليل هو وروده في الصحيفة التي ألقاها الإمام علي ( ) إلى أبي الأسود الدؤلي ، كما ورد في الروايات(15) .

وعند تأمل التعبير القرآني يلحظ أنَّه عمد إلى اختيار نمط الأسماء ، واختيار بعض الأسماء من دون بعض ، وآثر إظهارها في موضع إضمارها لتحقيق كثير من الغايات التي أراد أنْ يبينها ، ولاسيما عنايته ببعض المسميات ، فلمّا أراد لفت الانتباه لها كررها في موضع إضمارها لكي يشير إلى أهميتها ، أو أهمية السياق الذي وردت فيه ، أو الأمر الذي أراد الله عز وجل أنْ يبينه أكثر فيظهر الاسم في بعض المواضع لأجل ذلك ، ولو أنَّه آثر اسماً آخر غير الذي أعاده في موضع الإضمار ، أو أعاده ضميراً لمَا تحققت الغاية المراد إثباتها من هذا التكرير ، وفي هذا الموضع.

. لفظ الجَّلالَة (اللَّه) :

يمكن القول : إنَّ من أبرز الأسماء بل أعظمها وأجلها التي استعملها التعبير القرآني ، وفي مواضع كثيرة جداً ، ولبيان كثير من الدلالات اسم الجلالة (الله) ، الذي لم يسم به شيء من الخلق ، ولم يوجد لشيء من الأشياء(16) ، ولم يطلق إلا على المعبود بالحق(17) .

ويعد لفظ الجلالة (الله) إمام الأئمّة* في الأسماء ، سواءٌ الأسماء الكلية أم الفروع(18) ، فهو الاسم العلم الذي يطلق على الذات الإلهية المقدسة ، وهو اسم لواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال(19) .

فهو عز وجل المتفرد بهذا الاسم(20) ، وعدّ اسمه الاسم الجامع ، إذ تدخل ضمنه سائر الصفات كصفة القدرة مثلاً(21) وغيرها ، فهو((أجلُّ لفظٍ في الممكنات كلِّها، لأعظم معنًى في الموجودات جميعها. بهت في عذوبة لفظه كلّ سالك مجذوب، وتحيّر في عظمة معناه جميع أرباب القلوب ، تتدفق المحبة والرأفة عن الاسم، فكيف بالمعنى؟!فكان نفس المعنى يتجلّى فيه))(22) .

ويتضح أنَّ لتكرير اسم الجلالة (الله) في موضع إضماره غايات جمة أراد التعبير القرآني إبرازها تأكيداً على الإيمان به عز وجل ، توحيده في الإلوهية ؛ ولأنَّه الاسم الجامع لسائر الصفات ، يلحظ أنَّه إذا ورد في سياق الترهيب للكافرين والفاسقين الضالين ، كان إيراده تهويلاً وتخويفاً وإدخالاً للروعة في قلوبهم ، في حين إذا ورد في سياق الترغيب كان إيراده تعظيماً وتفخيماً وتربية للمهابة ووصفاً للإلوهية التي يستحقها وحده ، وغيرها من المعاني

العديدة التي يوحي بها اسمه عز وجل .

ومما ورد فيه اسم (الله) قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }(23).

يتضح أنَّ قوله تعالى : (فلا تجعلوا لله أندادا) معطوف على قوله تعالى : (اعبدوا ربكم الذي خلقكم) ، وقد وقع الاسم الجليل (الله) موقع الضمير من دون غيره من الأسماء ؛ ذلك لتعيين المعبود بالذات بعد أنْ عينه بالصفات ، ولتعليل الحكم بوصف الإلوهية والتي عليها مدار الوحدانية ، واستحالة الشركة ، هذا فضلاً عن الإيذان باستتباع سائر الصفات للإلوهية(24) .

و مما ورد أيضاً في اسم الجلالة (الله) ظاهراً في قوله تعالى : {بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً ...}(25) ، إن مجيء لفظ الجلالة (الله) صريحاً في قوله تعالى : (بما أشركوا بالله) إنما جيء به لبيان أنَّ هذا الاسم هو الاسم الجامع لجميع صفات الكمال ، وهذا ينافي اتخاذ الشريك له(26) .

وكذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }(27).

كشف لنا الآلوسي أنَّ إظهار الاسم الجليل (الله) في قوله تعالى : (واتقوا الله الذي تساءلون به) في موضع الضمير ، إنَّما الغاية منه هي ((للإشارة إلى جميع صفات الكمال ترقياً بعد صفة الربوبية فكأنه قيل : اتقوه لربوبيته وخلقه إياكم خلقاً بديعاً ولكونه مستحقاً لصفات الكمال كلها))(28) ، هذا ويُلحظ أنَّه قد أعاد الإظهار مرة أخرى بلفظ (الله) في قوله : (إنَّ الله كان عليكم رقيبا) ؛ ذلك للتأكيد على الأمر، إذ الجملة في موضع التعليل للأمر ووجوب الامتثال له عز وجل(29) .

وغيرها من المواضع التي ورد فيها اسم (الله) الجليل في موضع إضماره، وقد بلغ عددها

أكثر من مئة وخمسين موضعا.

. أسماء الأنبياء :

ومن أسماء العلم التي وردت في التعبير القرآني هي أسماء الأنبياء ، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً }(30) ، آثر الله عز وجل إظهار اسم النبي (إبراهيم) (عليه السلام) في قوله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ولم يضمره ، أو يذكره بمسمًى آخر ؛ ذلك تفخيماً له وتنصيصاً على أنَّه الممدوح دون غيره ، والجملة تذييل ، وقد يجيء به ترغيباً في إتباع ملة إبراهيم (عليه السلام) (31) .

ويلحظ ذلك في إعادة اسم النبي (يوسف) ( ) في قوله تعالى : {قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}(32) ، لما كان السؤال تعجباً وهذا واضح في قولهم : (قالوا أءنك لأنت يوسف) على قول بعض المدققين : بأنَّ سؤالهم كان يوحي بشدة التعجب في كونه هو يوسف ، بمعنى أنَّهم متحققون من ذلك ولم يبق إلا تأييده هو ،فكان لابد أنْ يجيبهم بما يحقق ذلك مؤكداً بأنَّه هو يوسف( ) ، فلم يقل ( ) : بلى أو أنا هو ، بل أعاد اسمه صريحاً عليهم ، أي : أنا يوسف( ) لا شبهة فيه(33)، وفي هذا يتضح السرّ في اختيار إظهار الاسم صريحاً من دون إظهاره بنمط آخر غيره أو إضماره .

. أسماء أُخر :

ولم يكن نمط الأسماء مقصوراً فقط على إعادة اسم الجلالة أو أسماء الأنبياء ، بل شمل العديد من المسميات الأُخر، التي آثر التعبير القرآني إظهارها لتحقيق غاياته، وبيان الدلالة المنشودة من ذلك ،ومنها ما ورد في قوله تعالى : {وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً }(34) .

لمَّا أراد عز وجل الإشعار بمعنى الإنسانية التي يحملها لفظ (الإنسان) والتي من شأنها التفكير في شؤون التكوين المانعة للقول الذي ذُكر في الآية ، اظهر (الإنسان) في موضع إضماره زيادة للتقرير وإشعارا بمعنى الإنسانية التي من دواعيها التفكر، وهذا هو السر في

إسناده إلى الجنس بذلك العنوان(35).

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ}(36) .

قال الطباطبائي : ((وفي قوله تعالى في المحيض ، وضع الظاهر موضع المضمر وكان الظاهر أنْ يقال فاعتزلوا النساء فيه والوجه فيه أنَّ المحيض الأول أريد به المعنى المصدري والثاني زمان الحيض فالثاني غير الاول ،ولا يفيد معناه تبديله من الضمير الراجع إلى غير معناه))(37).

وغيرها من الأسماء كتكرير ذكر القرآن(38)، والميزان(39)، والشهر(40)، والنار(41)، والحق(42) ، والساعة(43) ، والحج(44)، والكتاب(45) ، وغيرها.

اسم الإشـارة :

هو أحد الأنماط التي استعملها التعبير القرآني في موضع الضمير ، وتعد أسماء الإشارة في العربية من المعارف ، قال سيبويه : ((إنَّما صارت معرفة لأنَّها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته))(46) ، ومن هذا يفهم أنَّ أسماء الإشارة متعينة لدى المتكلم والمتلقي ، وبعيدة عن اللبس(47) ، إذ ((لا نتصور شيئاً آخر له شركة في معنى المشار إليه))(48) .

ويتضح من مفهوم اسم الإشارة الذي يدل على المشار إليه بطريقة حسية ، أنَّه يوظف لاستحضار الصورة أو المشهد في السياق(49) ،واستحضار المشار إليه في ذهن السامع(50).

فهي أسماء ظاهرة تدل بالإيماء على حاضر أو ما نزل منزلته(51) ، والأصل في استعمالها للمحسوس المشاهد(52) ، إلا أنَّها في اللغة المكتوبة لا تقوم بهذه الوظيفة بل تصبح دلالته مطلقة وبعيدة عن التحديد(53)، كما ذكر آنفاً .

ويرى ابن عاشور أنَّ ((أصل الإشارة أنْ تعود إلى ذات مشاهدة معينة إلا أنَّ العرب قد يخرجون بها عن الأصل فتعود إلى ذات مستحضرة من الكلام بعد أنْ يذكر من صفاتها وأحوالها ما ينزلها منزلة الحاضر في ذهن المتكلم والسامع ، فإنَّ السامع إذا وعى تلك

الصفات وكانت مهمة أو غريبة في خير أو ضدّه صار الموصوف لها كالمشاهد ، فالمتكلم يبني على ذلك فيشير إليه كالحاضر المشاهد...))(54) .

ولو تأملنا أسماء الإشارة في التعبير القرآني لاتضح لنا أنَّ لهذا النمط نصيباً واضحاً فيه ، إذ استعمله التعبير القرآني مستغنياً به عن الفعل (أشار ومشتقاته)(55) ، وكذلك عن الضمائر – وهذا ما نحن بصدد الحديث عنه – ؛ ذلك لما تتميز به أسماء الإشارة من تعدد في الدلالات ، وأَثَر في توجيه المعنى بوساطة انتظامها مع غيرها داخل التراكيب(56) .

ويؤدي هذا إلى فتح المجال للتعبير عن المعاني المختلفة التي يراد التعبير عنها، فهي تدل على القرب والبعد ، والتحقير والتعظيم والتنبيه ، وغيرها من الدلالات ، فضلاً عن أنَّها تشير إلى المحسوس والى المعنوي ، وإنزال المعنوي منزلة المحسوس ، وما فيها من معنى الإبهام وقوة التعريف(57).

وأفاد هذا تعدد دلالة أسماء الإشارة في التعبير القرآني بمعونة السياق والقرائن الأخرى التي يتضمنها التركيب(58) ، وتعددت استعمالاته لاستحضار المشار إليه في ذهن السامع ، بوساطة الإشارة إليه حسياً ، ويتضح أنَّ نمط اسم الإشارة يشير إلى شيء قد تم التواضع عليه فعلاً ، بمعنى أنَّ له حضوراً سابقاً في النص ، ومن ثَمّ يراد استحضار المَعْني بالذكر فيشار إليه باسم الإشارة ، وهذا من شأنه أنْ يسهم في زيادة المساحة الدلالية التي ينتجها النص ، في حين إذا ذكر الضمير بدلاً من اسم الإشارة في الموضع المعني لم يتحقق المعنى الذي أغنانا به اسم الإشارة(59)، كما في قوله تعالى : {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }(60) .

ورد اسم الإشارة في قوله تعالى : (ربنا ما خلقت هذا باطلا) ، للإشارة إلى السماوات والأرض ، وقد عدل السياق القرآني عن الضمير إلى اسم الإشارة إشارةً إلى أنَّها مخلوقات عجيبة يجب أن يُعتنى بكمال تمييزها ، استعظاماً لها(61) .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى

مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(62) .

يتضح أن قوله تعالى : (أولئك على هدًى من ربهم) جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، وقد وضع فيها اسم الإشارة في موضع الضمير بعد ذكر العديد من صفات المؤمنين ، والسامع بعد هذا الذكر يترقب الفائدة من ذكر هذه الأوصاف ، وقد حلّ اسم الإشارة محل ضميرهم وهذا أحسن وقعاً من الضمير ، لأنَّ اسم الإشارة تضمن جميع الأوصاف المتقدمة ، وعلى هذا التقدير يكون استعمال اسم الإشارة هنا أنسب بلاغة وأظهر للمعنى لقصد التنويه بتلك الصفات المشار إليها ، وبما سوف يرد بعد اسم الإشارة من حكم ناشئ عنها ، وهذا ما يترقبه السامع ، وما لا يكون إلا بجعل اسم الإشارة مبتدأ في صدر جملة الاستئناف ، إذ يكون أبلغ من إعادة اسم المستأنف عنه ، فلما كان اسم الإشارة طريقاً لاستحضار الذات كانت الإشارة لأهل الصفات قائمة مقام الذوات المشار إليها ، وكما أنَّ الأحكام التي ترد بعد أسماء الذوات تفيد ثباتها للمسميات ، فإنَّ الأحكام التي ترد بعد ما هو للصفات أيضاً تفيد ثباتها للصفات، أي : إنَّ قوله تعالى : (أولئك على هدًى من ربهم) هذا بمنزلة القائل : إنَّ تلك الأوصاف هي السبب في تملكهم من هدى ربهم(63) .

ولم يقف استعمال نمط الإشارة في التعبير القرآني في استحضار الذات استحضاراً حسياً بوساطة الإشارة إليها باسم الإشارة بعد ذكر صفاتها وأحوالها سابقاً فتنزل منزلة الحاضر في ذهن المتلقي بعد أن وعى صفاتها(64) ، بل يُلحظ أنَّه يُستعمل لبيان العديد من المعاني بوساطة الإفادة من معنى البعد والقرب فيه ، إذ له الأثر الكبير في إبراز المعاني(65) .

ومما ورد في التعبير القرآني في بيان هذا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ}(66) .

قال أبو السعود : (((أولئك) إشارة إلى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وإيثارها على الإضمار للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار إليه حساً وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف))(67) ، وهم المنعوتون بالنعوت الجليلة التي ذكرت في الآيتين السابقتين لاسم الإشارة .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ }(68) .

جاء اسم الإشارة في قوله تعالى : (أولئك أنهم مبعوثون) للإشارة إلى المطففين، وقد وضع اسم الإشارة في موضع ضميرهم ؛ ذلك للإشعار بمناط الحكم وهو وصفهم بهذه الصفة ، وإيذاناً بامتيازهم عن سائر الناس بهذا الوصف القبيح ، ولأنَّ الوصف إلى الإشارة متعرض له(69) وملحوظ(70) ، في حين الضمير لا يتعرض للوصف ، وهم في هذا نازلون منزلة الأمور المشار إليها إشارة حسية ، هذا زيادة على معنى البعد الذي يكمن في اسم الإشارة ، إذ يشعرك ببعد درجتهم في الشرِّ والفساد ، فلا يظن أولئك الذين اتصفوا بهذا الوصف الشنيع أنَّهم مبعوثون(71) .

وأضاف د. محمود احمد نحلة أنَّ سبب العدول عن الضمير إلى اسم الإشارة هو للتهكم بالمشار إليهم لتقليل شأنهم(72) .

ولو استعمل النظم القرآني الضمير في هذا الموضع لما تحققت الدلالة التي تحققت عند استعمال اسم الإشارة .

ولم تقف حدود استعمال نمط اسم الإشارة موضع الضمير فقط في بيان هذا المعنى ، بل أُستعمل في التعبير القرآني أحياناً للتعظيم وأُخر للتحقير .

ومما ورد للتعظيم قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(73) .

وضع سياق التعبير القرآني اسم الإشارة في قوله تعالى : (أولئك أعظم درجة) في موضع ضمير المشار إليهم في قوله : (من أنفق) وذلك تعظيماً لهم وإشعاراً بأنَّ مدار الحكم وهو عظم درجتهم وجلال قدرهم الذي وقع لهم كان بسبب إنفاقهم قبل الفتح وقتالهم(74) .

أما ما جاء في استعمالها للتحقير فهو قوله تعالى: {قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ}(75) .

في قوله تعالى : (بل متعنا هؤلاء وآباءهم ...) قال الآلوسي : إنَّ فيه ((اضراب على ما في "الكشف" عن الضرب السابق من الكلام إلى وعيدهم وأنَّهم من أهل الاستدراج وأخرجهم عن الخطاب عدم مبالاة بهم ، وفي العدول إلى الإشارة عن الضمير إشارة إلى تحقيرهم))(76)، وقد أشار ابن عاشور إلى أنَّ (هؤلاء) إشارة إلى حاضرين في الأذهان وهم كفار قريش(77) .

ثم التفت ابن عاشور التفاتة لطيفة في هذا فقال : ((وقد استقريت أنَّ القرآن إذا ذكرت فيه هذه الإشارة دون وجود مشار إليه في الكلام فهو يعني بها كفار قريش)) (78) .

الاسم الموصول :

هو ما لا يكون جزءاً تاماً من الكلام إلاّ بصلة وعائد(79) ، أي : إنَّه لا يدل على معين إلا بوساطة جملة تذكر بعده(80) ، فهو ((اسم يعين مدلوله تعييناً مقروناً بإشارة حسية إليه))(81) ، وقد عدّه النحاة من الأسماء المبهمة ؛ لأنَّه يحتاج دائماً إلى صلة تزيل إبهامه ، ليكتسب بهذه الصلة معرفته ، ومن ثَمّ يعد من المعارف(82) .

والأسماء الموصولة منها ما كان خاصاً ، بمعنى أنَّ للمفرد المذكر نوعاً خاصاً به ، وللمفردة المؤنثة نوعاً خاصاً بها ، وكذلك المثنى والجمع بنوعيه(83) ، ومنها ما كان عاماً ، أي : يصلح للأنواع كلها ؛ ذلك لأنَّه يأتي بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع بنوعيه ، ومنها (مَنْ ، وما)(84) .

وعند تتبع سياق التعبير القرآني ، يُلحظ أنَّه عدّ الاسم الموصول اسماً ظاهراً مع صلته ، واستعمله بأنواعه نمطاً من الأنماط التي ذكرناها في موضع الضمير ، ثم يكشف لنا عن غايته من هذا الاستعمال بأنَّه يحقق به كثيراً من الدلالات ، التي لا تتحقق فيما إذا وضع الضمير بدلاً منه .

فقد ذكر د. فاخر الياسري أنَّ الاسم الموصول يوظف لمقتضى دلالي بوصفه وسيلة من وسائل التعريف(85).

وتعد هذه الأسماء ناقصة الدلالة ؛ ذلك لعدم اتضاح معناها إلا إذا وصلت بصلتها(86) ، وبما أنّها أسماء منفردة لا تتمتع باستقلال معنوي وحدها ، بل بما تكتسبه من إفادة من

صلاتها فهي الجزء المكمل لمعناها واسميتها ، وما تشتمل عليه من عائد رابط لهما معاً(87) ، لذا يُلحظ أنَّ التعبير القرآني أحياناً يضع الاسم الموصول وَحْدَه في موضع الضمير ليشير إلى ما في حيز الصلة ليكمل معناه الذي وضع لأجله في موضع الضمير ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ...}(88) .

جيء بالموصول في قوله : (فترى الذين في قلوبهم مرض) بدلاً من ضمير القوم؛ لكي يشير إلى ما في حيز الصلة وهو أنَّ ما ارتكبوه من التولي إنَّما كان بسبب المرض الذي في قلوبهم وهو مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين(89) .

وأحياناً أُخر يختار سياق التعبير وضع الموصول مع صلته في موضع الإضمار، ومن ذلك قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ}(90) .

وضع الموصول مع صلته في قوله تعالى : (قال الذين استكبروا) موضع الضمير ، على الرغم من كفاية الضمير ، إلا أنَّه لم يقل : قالوا ، بل أعاد الموصول مع صلته إيذاناً بأنَّ ما قالوه إنّما قالوه بطريق العتو والاستكبار(91) .

وغيرها من المواضع الأُخر التي وضع فيها الموصول أو الموصول مع صلته في موضع الإضمار لبيان كثير من المعاني التي اقتضت هذا الإظهار .

أما ما كان عاماً فَمنه قوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ ...}(92) .

الظاهر أنَّ قوله تعالى : (بما أنزل الله) ، قد جاء التعبير بالموصول وهو (ما) في موضع الضمير ، وهذا للتنبيه إلى علية ما في حيز الصلة للحكم بينهم ، ولترهيبهم عن المخالفة(93) .

وقوله تعالى : {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}(94) .

جاء التعبير بالموصول (من) في قوله تعالى : (ممن هو في شقاق) إذ وضع موضع الضمير ، والمراد بالموصول المخاطبون ، وعلة هذا الإظهار هي لشرح حالهم بالصلة ولتعليل زيادة ضلالهم(95) .

2. الصفـات :

الصفة أو النعت هي (("التابع ، المكمّل متبوعَهُ : ببيان صفة من صفاته" نحو " مررت برجل كريم" ، أو من صفات ما تعلق به – وهو سَبَبِيُّهُ – نحو "مررت برجلٍ كريم أبوه"))(96) .

وقد يُجاءُ بالصفة للمدح ، كصفات الله عز وجل نحو : الحيُّ ، والعالم القادر ، أو للذم ، كقولك : رأيت زيداً الجاهل الخبيث ، أو للترحم أو للتأكيد وغيرها(97) .

وتعد الصفات من أنماط الظاهر التي آثر القرآن الكريم إظهارها في موضع الضمير ؛ ذلك لإبراز المتكلم عنهم أو المخاطبين بصفة ما أراد الله عز وجل أنْ يصفهم بها فيبرزها للسامعين ، ولاسيّما في حديثه عن المؤمنين أو الكافرين ، عقب حديثه عن أعمال الفئة التي هو بصدد الحديث عنها ، وغالباً ما تكون الصفة متلائمة مع أعمالهم ومع جزائهم .

ويتضح أنَّ سياق التعبير القرآني أحياناً يضع الصفة فقط موضع الضمير ، وأحياناً أُخر يضع الصفة والموصوف .

ومما جاء في سياق التعبير القرآني في هذا ، قوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}(98).

جاء الحديث في الآية عن المجاهدين مع النبي ( ) ومدى تحملهم لما أصابهم في سبيل الله في أثناء القتال من دون أنْ يضعفوا أو أنْ يرتدوا عن دينهم أو أنْ يضعفوا لعدوهم ، ثم ختم الله عز وجل الآية ببيان ثوابهم ومنزلتهم عند الله عز وجل وهو حبّه لهم بقوله: (والله يحب الصابرين) ، وقد وصفهم بالصابرين على مقاساتهم ومعاناتهم للشدائد والمكاره في سبيله ،

ومن ثَمّ فإنَّ لهم النصرة وعظمة القدر وحب الله عز وجل ، فإذا كان المراد بالصابرين الربيون ، كان إظهار(الصابرين) في موضع الإضمار تصريحاً وثناءً عليهم بالصبر الذي هو ملاك الأمر ، وإشعاراً بعلة الحكم(99) ، ويلحظ أنه قد اختار الوصف الذي يتلاءم مع أعمالهم المذكورة بالآية الكريمة من صبر ومقاساة ومعاناة في سبيل الله ، ووضع هذا الوصف موضع الضمير لبيان الصفة التي يستحقونها .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : {لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }(100) ، الآية تكشف لنا عن الذين لا يستطيعون الخروج للجهاد في سبيل الله من شيوخ أو مرضى أو الفقراء العاجزين عن أهبة السفر والجهاد ، وأنَّ هؤلاء ليس عليهم حرج ، أي : ذنب في التخلف إذا نصحوا لله بالإيمان والطاعة بمعنى إذا أخلصوا ، ثم وصفهم بالإحسان وهو النصح لله تعالى ولرسوله ( ) بقوله : (ما على المحسنين من سبيل) ، فلم يقل : ما عليهم ، ووضع الظاهر (المحسنين) في موضع ضميرهم اعتناءً بشأنهم ووصفاً لهم بهذا العنوان الجليل ، والجملة استئناف مفرد للمضمون الذي سبق في الآية ، وهذا على أبلغ وجه ، وألطف سبك ، إذ يعد من بليغ الكلام ، وهو جارٍ مجرى المثل(101) .

أما ما ورد في وصف الكافرين في قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}(102) .

في قوله تعالى : (وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين) وضع الظاهر موضع الضمير إشعاراً بعلة الحكم أو جنس الكفار(103)، إذ المعني بالكافرين هم المستعجلون ، وقد استحضروا بوصف الكافرين دلالة على أنَّه سبب إحاطة العذاب بهم هو كفرهم هذا(104) .

ووضعت الصفة والموصوف في موضع الضمير في قوله تعالى : {الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ}(105) .

يرى ابن عاشور أنَّ في قوله تعالى : (فكيف آسى على قومٍ كافرين) جاء الإظهار في مقام

الإضمار لوصفهم بهذا الوصف وهو الكفر ، ليزيد شعيب ( ) من تعزية نفسه في قومه وترك الحزب عليهم ؛ لأنهم قوم كافرون فلا يستحقون أنْ يؤسف عليهم ، فهم الذين اختاروا ذلك لأنفسهم ، لذا ابتدأ بالاستفهام الإنكاري مخاطباً نفسه لأنَّه أبلغهم ونصحهم فأعرضوا عنه ، وبذلك استحقوا غَضَب من يَغْضب لله ، وهو الرسول(106) .

وقوله تعالى : {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(107).

قال محمد رشيد رضا : ((أي فلا تحزن عليهم لأنَّهم قوم تمكن الكفر منهم وصار وصفاً لازماً لهم ، وهذه نكتة وضع الظاهر موضع المضمر))(108) .

3. العطـف :

وهو التابع لما قبله في الإعراب ، وبهذا أشبه الصفة والبدل ، والثاني فيه غير الأول ، وبهذا خالف الصفة والبدل(109) ،والعطف الإشراك، وحروفه حروف الإشراك وقد((عبر عن المعطوف والمعطوف عليه (بضم أحد الاسمين إلى الآخر)))(110).

وهو من الأنماط التي استعملها التعبير القرآني في موضع الإضمار ، إذ لا يكتفى بإظهار الاسم الظاهر وحده ، بل يظهر اسمين أو أكثر معطوفين على بعضهما في موضع إضمارهما ، تحقيقاً لما يصبو إليه التعبير القرآني من معانٍ ، ومن ذلك قوله تعالى : {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(111) ، جاء الإظهار في قوله تعالى : (ومن يشاقق الله ورسوله) ، إذ لم يقل : (ولم يشاققهما) ، بل أظهر المعطوف والمعطوف عليه في موضع إضمارهما ؛ ذلك لتربية المهابة ، وللإشعار بعلية الحكم ، فضلاً عن إظهار كمال شناعة فعلهم(112) .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}(113).

يرى أبو السعود أنَّ التعبير القرآني قد آثر الإظهار على الإضمار في قوله تعالى : (ومن يتول

الله ورسوله والذين آمنوا) ، لرعاية بيان الأصالة لله تعالى في الولاية ، وقوله تعالى : (فإنَّ حزب الله هم الغالبون) ينبئ عن ذلك(114) ، والظاهر الذي آثره التعبير القرآني على الإضمار هو المعطوفات (الله ورسوله والذين آمنوا).

وتكشف لنا الآية الكريمة إظهاراً آخر من نمط آخر وهو المضاف وذلك في قوله تعالى : (فإنَّ حزب الله) ، إذ أضيف الحزب وهو الطائفة والجماعة مطلقاً إلى الله تعالى خاصة ، ولم يقل: (فإنّهم الغالبون) ، لأنَّ في الإظهار تعظيماً لهم وإثباتاً لغلبتهم وهذا بالطريق البرهاني ، فكأنَّه قال : ومن يتول هؤلاء فإنَّهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون(115) ، وهذا ما سيفصل لاحقاً .

3. المضاف والمضاف إليه :

الإضافة تركيب نحوي يهدف إلى تعريف المضاف بالمضاف إليه وتخصيصه به ، ولاسيما إذا كان نكرة(116)، واستعماله شائع وفي كثير من المواضع لبيان كثير من المعاني المختلفة والأغراض المتنوعة(117) ، بحسب ما يوضع فيه ، ومنها وضعه موضع الضمير .

وقد كشف لنا سياق التعبير القرآني أنَّ اختياره لهذا النمط وهو المضاف والمضاف إليه ، ووضعه موضع الضمير كان لبيان كثير من المعاني ، التي لا تتضح فيما إذا أعيد ذكر الظاهر مضمراً أو معرفاً بالألف واللام .

ومن ذلك قوله تعالى : {قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }(118) .

يرى أبو حيان أنَّ إضافة (هداي) إلى نفسه تعالى فيها تعظيم للهدى وهذا لا يكون فيما لو أتى به معرفاً باللام(119) ، وأضاف الآلوسي أنَّ وضع المظهر (هداي) في موضع الضمير إشارة لعليته ؛ لأنَّ الهدى واجب الإتباع بالنظر لذاته ، أما بالنظر إلى أنَّه أضيف إليه تعالى فهذه إضافة تشريف تجعله أحق بأنْ يتبع كونه هدى الله عز وجل ، وقيل أنَّه لم يأت به مضمراً ؛ لأنَّ الثاني أعم من الأول لشموله لما يحصل بالاستدلال والعقل ، ثم أنَّه لم يأت به معرفاً بأل ، إذ لم يقل: (الهدى) لئلا تتبادر العينية ؛ ذلك لأنَّ النكرة في الغالب إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى(120) .

وقد تأتي الإضافة في القرآن الكريم لتشريف المضاف إليه كما في قوله تعالى : {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(121).

قال الآلوسي في قوله تعالى : (من ربك) ((وضع فيه الظاهر موضع الضمير والأصل – منا – فجيء بلفظ الرب مضافاً إلى ضميره ( ) على وجه تخصيص الخطابة به ( ) وتشريفاً له عليه الصلاة والسلام دلالة على أنَّ كونه سبحانه ربك وأنت مبعوث رحمة للعالمين مما يقتضي أنْ يرسل الرحمة))(122) .

وغيرها من المواضع الأخر التي جاء فيها الاسم الظاهر مضافاً .

ويمكن القول أن أبرز ما بينه البحث أنَّ الاسم الظاهر في التعبير القرآني لم يأت على نمط واحد بل تعددت الأنماط بين الأسماء كاسم الجلالة (الله) ، وأسماء الأنبياء ، واسم الإشارة ، والاسم الموصول ، والصفات ، والمضاف والمضاف إليه ، والعطف، ويبرز اسم الجلالة (الله) من بين هذه الأنماط بكثرة إظهاره في التعبير القرآني في موضع إضماره بما يزيد على مئة وخمسين موضعاً ، كما انماز كل نمط بجمالية خاصة في التعبير القرآني هدف إلى بيانها بوساطة نمط هذا الاسم أو ذلك ، وما له من أثر و يلحظ هذا في اسم الله ، واسم الإشارة وغيرها.

هذا وقد أظهر البحث أنَّ اسم الإشارة في العربية إنَّما يشار به إلى المحسوس المشاهد لدى المتكلم والمتلقي ، إلا أنَّه في اللغة المكتوبة تصبح دلالته مطلقة وبعيدة عن التحديد، إذ يوظف لاستحضار الصورة أو المشهد ، واستحضار المشار إليه في ذهن السامع ، وذلك بعد ذكر بعض صفات أو أحوال المشار إليه بما ينزله منزلة الحاضر في الذهن ، فالمتكلم يبني على ذلك صورته فيشير إليه كالحاضر المشاهد ، وينتج عن هذا زيادة في المساحة الدلالية التي ينتجها النص، فضلا عن دلالة اسم الإشارة على القرب والبعد بما يضفي دلالات أُخر يهدف النص إلى الإفادة منها.

الهوامش :

(1) ينظر : أصول النحو العربي : 65.

(2) ينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي : 108-109.

(3) القارعة : 10.

(4) ينظر : أمالي ابن الشجري : 370/1 ، والمغني في النحو : 291/2.

(5) ينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي : 107.

(6) ينظر : الكتاب : 57/1-62.

(7) ينظر : شرح كتاب سيبويه : 334/1.

(8) ينظر : الوظائف الدلالية للجملة العربية : 54 ، ونظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية : 195.

(9) ينظر : الجمل الفرعية في اللغة العربية : 60 ، وتجديد النحو : 142 ، ونظام الارتباط والربط : 191.

(10) ينظر : بناء الجملة العربية : 106 ، والوظائف الدلالية للجملة العربية : 58.

(11) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 190.

(12) ينظر : دلائل الإعجاز : 169 ، 265 ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه : 25/2 ، ومفتاح العلوم : 197.

(13) ينظر : شرح كتاب سيبويه : 15/1 ، والحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل،ابن السيد البطليوسي : 64.

* ((فالاسم : رجل ، وفرس وحائط)) كتاب سيبويه : 12/1 .

(14) أسرار العربية ، ابن الأنباري: 37، وينظر : المركب الاسمي في كتاب سيبويه :30.

(15) ينظر : نزهة الألباء: 4 ، وإنباه الرواة: 4/1 ، ووفيات الأعيان: 216/2 ، وعلل الاختيار في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور(ت 1393هـ)،صبيحة حسن الزوبعي(أطروحة دكتوراه): 15.

(16) ينظر : الزينة في الكلمات الإسلامية العربية،أبو حاتم الرازي : 12/2 .

(17) ينظر : الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري : 180 .

* أئمة الأسماء هي ((أمهات الأسماء ما هي مصرح بها في بعض كتب أهل المعرفة بل في بعض كتب أهل الكلام من الحي العليم المريد القدير المتكلم السميع البصير وهي أئمة الأسماء)) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، صدر الدين محمد الشيرازي : 314/2 .

(18) ينظر : الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة : 314/2 .

(19) ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون : 138/1–139 ، وروح المعاني : 482/1 ، 700/30–702 ، والميزان في تفسير القرآن : 18/1 .

(20) ينظر : التعريف والتنكير وأثرهما في المعاني النفسية في القرآن الكريم ، هادي غالي رضا الدخيلي ، (رسالة ماجستير) : 55 .

(21) ينظر : البحر المحيط : 498/1 ، وروح المعاني : 482/1 .

(22) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 12/1 .

(23) البقرة : 21–22 .

(24) ينظر : إرشاد العقل السليم : 132/1 ، وروح المعاني : 257/1 .

(25) آل عمران : 150–151 .

(26) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : 400/6 .

(27) النساء : 1 .

(28) روح المعاني : 535/4 .

(29) ينظر : المصدر نفسه : 538/4 .

(30) النساء : 125 .

(31) ينظر : روح المعاني : 201/5 .

(32) يوسف : 90 .

(33) ينظر : روح المعاني : 90/13 .

(34) مريم : 66–67 .

(35) ينظر : روح المعاني : 577/16 .

(36) البقرة : 222 .

(37) ينظر : الميزان في تفسير القرآن:279/2 .

(38) ينظر : الكشاف : 48./3

(39) ينظر : المصدر نفسه : 434/4.

(40) ينظر : روح المعاني : 626/1.

(41) ينظر : المصدر نفسه :506/2.

(42) ينظر : المصدر نفسه :344/17.

(43) ينظر : المصدر نفسه: 131/27.

(44) ينظر : الميزان في تفسير القرآن: 223/2.

(45) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن:80/6.

(46) الكتاب : 5/2 .

(47) ينظر : أسماء الإشارة في التعبير القرآني : 61 .

(48) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة : 116 .

(49) ينظر : المحتسب ،ابن جني: 274/2 ، والبنى النحوية وأثرها في المعنى ، أحمد عبد الله حمود العاني (أطروحة دكتوراه) : 137 .

(50) ينظر : خطرات في اللغة القرآنية : 183.

(51) ينظر : شرح الحدود النحوية : 73 .

(52) ينظر : شرح مواهب الفتاح : 281/1.

(53) ينظر : البلاغة والأسلوبية عند السكاكي : 102 .

(54) التحرير والتنوير : 238/1 .

(55) ينظر : أسماء الإشارة في التعبير القرآني : 104 .

(56) ينظر : علل الاختيار في تفسير التحرير والتنوير : 27–28 .

(57) ينظر : أسماء الإشارة في التعبير القرآني : 109–110 .

(58) ينظر : دلالة التنكير والتعريف في سياق النظم القرآني،شعلان عبد علي

سلطان(رسالة ماجستير) : 126.

(59) ينظر : البلاغة والأسلوبية عند السكاكي : 102–104 .

(60) آل عمران : 91 .

(61) ينظر : روح المعاني : 502/4 .

(62) البقرة : 3–5 .

(63) ينظر : التحرير والتنوير : 238/1–239 .

(64) ينظر : المصدر نفسه : 237/1.

(65) ينظر : دلالة التنكير والتعريف في سياق النظم القرآني : 126 .

(66) المؤمنون : 8–10 .

(67) إرشاد العقل السليم : 125/6 .

(68) المطففين : 1–4 .

(69) ينظر : إرشاد العقل السليم : 125/9 ، وروح المعاني : 388/30–389 .

(70) ينظر : التحرير والتنوير : 171/30 .

(71) ينظر : إرشاد العقل السليم : 125/9 ، وروح المعاني : 388/30 .

(72) ينظر : دراسات قرآنية في جزء عمّ : 219 .

(73) الحديد : 10 .

(74) ينظر : روح المعاني : 244/27 .

(75) الأنبياء : 42–44 .

(76) روح المعاني : 70/17 .

(77) ينظر : التحرير والتنوير : 56/17 .

(78) المصدر نفسه : 56/17 .

(79) ينظر : أسرار العربية :334333 ، وحاشية الخضري، الخضري : 128/1 .

(80) ينظر : جامع الدروس العربية : 129/1 .

(81) النحو الوافي : 267/1 .

(82) ينظر : البنى النحوية وأثرها في المعنى: 139 .
(83) ينظر : شرح ابن عقيل : 141/1 ، والنحو الوافي : 268/1–269 .
(84) ينظر : شرح ابن عقيل : 147/1 .
(85) ينظر : خطرات في اللغة القرآنية: 182 .
(86) ينظر : معاني النحو : 128/1، وخطرات في اللغة القرآنية: 182.
(87) ينظر : التعريف والتنكير وأثرهما في المعاني النفسية في القرآن : 111 .
(88) المائدة : 51–52 .
(89) ينظر : إرشاد العقل السليم : 48/3 .
(90) الأعراف : 75–76 .
(91) ينظر : روح المعاني : 559/8 .
(92) المائدة : 48 .
(93) ينظر : روح المعاني : 438/6 .
(94) فصلت : 51–52 .
(95) ينظر : إرشاد العقل السليم : 19/8 .
(96) شرح ابن عقيل : 153/2 .
(97) ينظر : شرح اللمحة البدرية: 278/2 .
(98) آل عمران : 146 .
(99) ينظر : روح المعاني : 403/4–405 .
(100) التوبة : 91 .
(101) ينظر : روح المعاني : 483/10–484 .
(102) العنكبوت : 53–54 .
(103) ينظر : روح المعاني : 14/21 .
(104) ينظر : التحرير والتنوير : 192/20 .
(105) الأعراف : 92–93 .

(106) التحرير والتنوير : 204/8 .
(107) المائدة : 68 .
(108) تفسير المنار : 393/6 .
(109) ينظر : الأصول في النحو: 305/2 .
(110) ينظر : المصطلح النحوي:108 .
(111) الأنفال : 13 .
(112) ينظر : روح المعاني : 236/9 .
(113) المائدة : 55–56 .
(114) ينظر : إرشاد العقل السليم : 53/3 .
(115) ينظر : المصدر نفسه: 53/3 .
(116) ينظر : شرح ابن عقيل : 39/3 .
(117) ينظر : إحياء النحو : 77 .
(118) البقرة : 38 .
(119) ينظر : البحر المحيط : 246/1 .
(120) ينظر : روح المعاني : 323/1–324 .
(121) الدخان : 4–6 .
(122) روح المعاني : 158/25–159 .

ثبت المصادر والمراجع

/القرآن الكريم

أولاً : الكتب المطبوعة

-أ-

/أثر النحاة في البحث البلاغي : د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

/إحياء النحو : ابراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، (د.ط)، 1958م .

/إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أو تفسير أبي السعود : أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت951هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط4 ، 1414هـ–1994م .

/أسرار العربية : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت577هـ) ، عُني بتحقيقه : محمد بهجت البيطار ، عاصم بهجت البيطار ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط2 ، 1425هـ–2004م .

/أسماء الإشارة في التعبير القرآني : د. أحمد جواد العتّابي ، مطبعة النّماء، بغداد ، ط1 ، 1431هـ–2010م .

/الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن السرّاج النحوي البغدادي (ت316هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ،(د.ط) ، (د.ت) .

/أصول النحو العربي : محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، الشاطبي ، (د.ط) ، 2004م .

/أمالي ابن الشَّجري : هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت542هـ) ، تحقيق ودراسة : د. محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1427هـ–2006م .

/إنباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين أبوالحسن علي بن يوسف القفطي (ت624هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر،ومؤسسة الكتاب الثقافية،بيروت–لبنان ، ط1 ،1406هـ–1986م.

-ب-

/البلاغة والأسلوبية عند السكاكي (ت626هـ) : د. محمد صلاح زكي ابو حميدة ، (د.ط) ، 1428هـ_2007م .

/بناء الجملة العربية : د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د.ط) ، 2003م .

-ت-

/تجديد النحو : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، (د.ت) .

/تفسير البحر المحيط : أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الشهير بأبي حيّان الأندلسي الغرناطي (ت745هـ) ، حقق أصوله وعلّق عليه وخرّج أحاديثه : د. عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1431هـ-2010م .

/تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور : محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1420هـ-2000م .

/تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار : السيد محمد رشيد رضا (1935م) ، خرّج آياته وأحاديثه وشرح غريبه : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط1 ، 1420هـ-1999م .

-ج-

/جامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني ، راجعه ونقحه : د. محمد أسعد النادري ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط30 ، 1416هـ-1995م .

/الجمل الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية : د. معصومة عبد الصاحب ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

-ح-

/حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : الشيخ محمد الخضري (ت1287هـ) ، ضبط وتشكيل وتصحيح : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1424هـ-2001م .

/الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة : صدر الدّين محمد الشيرازي (ت1050هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

/الحلل في إصلاح الخلل في كتاب الجمل : أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت521هـ) ، تحقيق : سعيد عبد الكريم سعودي ، دار الرشيد ، العراق ، (د.ط) ، 1980م .

-خ-

/خطرات في اللغة القرآنية : د. فاخر الياسري ، (د.ط) ، (د.ت) .

-د-

/دراسات قرآنية في جزء عمّ : د. محمود احمد نحلة ، دار العلوم العربية، بيروت ، ط1 ، 1409هـ-1989م .

/دلائل الإعجاز : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت471هـ) ، قرأه وعلّق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني، جدّة ، ط3 ، 1413هـ-1992م .

-ر-

/روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت1270هـ) ، قابلها على المطبوعة المنيريّة وعلّق عليها : محمد احمد الأمد ، عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1420هـ ، 1999م .

-ز-

/الزينة في الكلمات الإسلامية العربية : الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت322هـ) ، عارضه بأصوله وعلّق عليه : حسين فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ط1 ، 1415هـ-1994م .

-ش-

/شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني (ت769هـ)،تحقيق:محمد محي الدّين عبد الحميد ، قم ، (د.ط) ، (د.ت) .

/شرح الحدود النحوية : عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي (ت972هـ) ، تحقيق : د. المتولي رمضان أحمد الدميري ، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط2 ، 1414هـ-1993م .

/شرح كتاب سيبويه : أبو سعيد السيرافي (ت368هـ) ، تحقيق : أحمد حسن مهدلي ، علي سيِّد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2008م .

/شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية : ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) ، تحقيق : هادي نهر ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان- الأردن ، (د.ط) ، (د.ت) .

/شرح مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح : أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربي (ت1128هـ) ، تحقيق : د. خليل ابراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1424هـ ، 2003م .

-ع-

/العمدة في محاسن الشعر وآدابه : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت456هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1422هـ-2001م .

-ف-

/الفروق في اللغة : أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل (ت400هـ) ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط6 ، 1403هـ .

-ك-

/كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) ، تحقيق وشرح:عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة ، 1408هـ-1988م.

/كشّاف اصطلاحات الفنون : محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي (ت1158هـ) ، وضع حواشيه : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1427هـ-2006م .

/الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت538هـ) ، رتّبه وضبطه وصححه : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط4 ، 1427هـ-2006م .

-ل-

/اللغة العربية معناها ومبناها : د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ط) ، 1973م .

-م-

/المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : أبو الفتح عثمان ابن جنّي (ت392هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار ، ود. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، (د.ط) ، 1386هـ.

/المركب الاسمي في كتاب سيبويه : علي بن معيوف بن عبد العزيز المعيوف ، سلسلة رسائل جامعية ، ط1 ، 1428هـ-2007م .

/المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري : عوض حمد القوزي ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، ط1 ، 1401هـ-1981م .

/معاني النحو : د.فاضل صالح السامرائي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ،ط1 ، 1428هـ ،-2007م .

/ المغني في النحو : تقي الدّين أبي الخير منصور بن فلاح اليمني النحوي (ت680هـ) ، تقديم وتحقيق وتعليق : د. عبد الرزاق عبد الرحمن أسعد السعدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ،1999م .

/مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـ) ، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1403هـ–1983م .

/منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : د. علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (د.ط) ، 1986م .

/مواهب الرحمن في تفسير القرآن : عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت1414هـ) ، ط2 ، 1428هـ–2007م .

/الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي (ت1402هـ)، إحياء الكتب الإسلامية ، قم ، إيران ، (د.ط) ، (د.ت) .

–ن–

/النحو الوافي : عباس حسن ، مطبوعات الأندلس العالمية ، بيروت ، النجف الاشرف ، ط1 ، 1431هـ–2010م .

/نزهة الألباء في طبقات الأدباء : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت577هـ) ، قام بتحقيقه : د. ابراهيم السامرائي ، مكتبة المنار، الأردن ، ط3 ، 1405هـ–1985م .

/نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية : د. مصطفى حميدة ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، ط1 ، 1997م .

–و–

/الوظائف الدلالية للجملة العربية – دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق .: د. محمد رزق شعير ، تقديم : د. عبده الراجحي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ، 1428هـ–2007م .

/وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم ابن خلكان (ت681هـ) ، حقق أصوله وكتب هوامشه : د. يوسف علي طويل ، ود. مريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1419هـ–1998م .

ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية

/البنى النحوية وأثرها في المعنى : أحمد عبد الله حمود العاني (أطروحة دكتوراه) ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 2003م .

/التعريف والتنكير وأثرهما في المعاني النفسية في القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية) : هادي غالي رضا الدخيلي (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، 2001م .

/دلالة التنكير والتعريف في سياق النظم القرآني : شعلان عبد علي سلطان (رسالة ماجستير) ، كلية التربية – جامعة بابل ، 2005م .

/علل الاختيار في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت1393هـ) : صبيحة حسن طعيس الزوبعي (أطروحة دكتوراه) ، كلية التربية –جامعة بغداد ، 2007م .